من الفرانكفونية إلى الفرانكو-عرب : طموحات تقليدية بحلة عصرية

From Francophone to Franco-Arab: Traditional aspirations in a modern guise

فوزية دندوقة[1] *، نوال آقطي[2]

[1] كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر- بسكرة (الجزائر)، fz.dendouga@univ-biskra.dz

[2] كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر- بسكرة (الجزائر)، naouel.agti@univ-biskra.dz

تاريخ الاستلام: 2021/08/27، **تاريخ القبول:** 2021/12/08، **تاريخ النشر:** 2021/12/22

ملخص: يأتي هذا المقال ليطرح مشكلا قديما حديثا، وهو مشكل الفرانكفونية كمد غربي، ومشروع استعماري، تقليدي يتلون بتلونات العصر، فيلبس حلي الحداثة، والتطور التكنولوجي ليطرق باب الهوية العربية لا بروح الطمس والإقصاء، ولكن بروح التحضر والتطور، ما يجعله أكثر خطرا مما مضى وفات. لهذا تعرضت دراستنا هذه للفرانكفونية بوجهيها القبيحين؛ الوجه الأول الذي صوره الدعاة إليه بأنه نهج للإخاء الإنساني، والوجه الثاني الذي صوروه بأنه أسلوب حداثي أكثر استجابة لتطورات العصر، تأكيدا على بشاعة الوجهين، وخطورة التصورين، وخلصت إلى أن الاحتدام الحضاري بين الشرق والغرب متواصل، ولكنه يكتسي لكل عصر كساءه ورداءه، لذلك تم تقديم جملة من التوصيات تركز على معالجة ظاهرة الفرانكو-عرب التي تقف شامخة على أطلال الحرف العربي، للحد من مدها، والقضاء على مطامح أصحابها، وذلك بتفعيل كل الآليات المتاحة، والإمكانات التي يوفرها عالم الرقمنة، لإعادة الاعتبار للعربية الفصحى أو على الأقل للأداء اللغوي الدارج في البلاد العربية.

الكلمات المفتاح : فرانكفونية، فرانكو-عرب، لغة، هوية، ثقافة.

Abstract: This article comes to present an old and recent problem, which is the problem of Francophonie as a Western tide, and a colonial project, a traditional one that is colored by the tints of the times, wearing the costumes of modernity, and technological development to knock on the door of Arab identity not in the spirit of obliteration and exclusion, but in the spirit of urbanization and development, which makes it more dangerous than before and passed away .This is why our study exposed the two ugly faces of Francophone. The first aspect that the preachers portrayed as an approach to human brotherhood, and the second aspect, which they portrayed as a modernist style more responsive to the developments of the era, emphasizing the ugliness of the two aspects, and the danger of the two perceptions. Presenting a set of recommendations focusing on addressing the Franco-Arab phenomenon, which stands tall on the ruins of the Arabic letter, to limit its extension, and to eliminate the aspirations of its owners, by activating all available mechanisms, and the possibilities provided by the world of digitization, to restore consideration to classical Arabic or at least to the common linguistic performance in the Arab countries.

Keywords: Francophone; Franco-Arab; Arabic language; culture identity.

* المؤلف المرسل

1- مقدمة:

إن اللغة عند كل مجتمع من مجتمعات العالم هي رمز الهوية، والوعاء الذي يستوعب الترسانة الثقافية بكل زخمها وثقلها، بكل مقوماتها ومرجعياتها، ونظرا لهذه الأهمية التي تعرفها اللغات بالنسبة لكل المجتمعات تتوجه الطموحات الاستعمارية عادة إلى اللغة، لتكون وسيطا للتأثير في الشعوب، أو هدفا لمحو هوياتهم، وزعزعة أركانها. وانطلاقا من هذا الطرح، جاءت دراستنا للوقوف على ظاهرة الفرانكفونية المعادية للغة العربية، بعدها مفهوما لا يزال يثير الجدل بين أوساط المفكرين، للكشف عن خطورتها و آثارها السلبية على اللغة العربية، لا على المدى القريب فحسب، بل وعلى المدى البعيد أيضا، فقد صارت لغتنا ويا للأسف غريبة في مواطنها، مهمشة في ديارها. ونظرا لهذا الخطر الداهم انطلقنا في دراستنا هذه من إشكالية رئيسة مفادها "ما هو الملمح العصري للمد الفرنكوفوني على الهوية العربية؟". وهو موضوع يكتسي أهميته من جانبين اثنين:

- أما الأول: فيتعلق بقلة الدراسات المتعرضة -كما سنشير- لهذا المد الاستعماري المتطور.
- ويتعلق الثاني: بشحذ الهمم نحو العودة إلى العربية نطقا وكتابة، لا في البحوث الأكاديمية، والمحافل الرسمية فحسب، بل على أصعدة الاستعمال اللغوي كلها، لأن هجر العربية، باب مشرع أمام المشروع الفرانكفوني، وطريق مفتوح نحو طموحاته قديمها وحديثها.

2- الدراسات السابقة:

رغم الأهمية البالغة للموضوع إلا أن التفات الدارسين اليوم إليه قليل جدا، حيث توقف الأمر عند الفرانكفونية في مظهرها الأول، بعدها مظهرا جديدا لاستعمار قديم، فألفت في القضية كتب ومقالات كثيرة أثارت الجدل وأسالت الحبر، لكن المظهر الحديث للفرانكفونية وهو الاستعمار اللغوي الذي يحتل مكانة الحرف اللغوي، فيشوه رسمه في أذهان الشباب والناشئة، مسكوت عنه، موضوع موضع ألبسة الموضة، نقبلها دون أن تُستقى من عاداتنا أو تعبر عن شخصياتنا.

ونشير فيما يلي إلى أبرز من تناول الظاهرة بالدرس والتحليل:

- بلقيز، عبد الإله (2001) في الفرنكوفونية ايديولوجيا سياسات تحد ثقافي –لغوي، ويشمل تعقيبات ومداخلات الحلقة النقاشية التي قام بعقدها مركز دراسات الوحدة العربية. حولالفرنكوفونية بما تمثله من أيديولوجيا وسياسات وتحدّ ثقافي. فأشار إلى التأثيرات السلبية لهذه الأبعاد الايدولوجية في النطاق العربي بشكل عام، وأقطار المغرب بشكل خاص.

ر كيبي، عبد الله (2009) الفرانكفونية مشرقا ومغربا، مشرقا ومغربا، وفيه تحدث عن هذه الظاهرة بشكل موضوعي إلى حد بعيد، والدليل على ذلك أنه أشار إلى بعض ما رآه إيجابية من إيجابياتها خاصة في المشرق العربي، حيث يقول عبد الله ركيبي: إن الفرانكفونية في المشرق العربي كانت عاملا إيجابيا نسبيا فيما يتصل بتطوير الثقافة العربية والأدب العربي"**(ركيبي، 2009، ص325)**، عدا ذلك فإنه لم يحص لها مزية تذكر، بل جعل مؤلفه هذا لتتبع آثارها السلبية على الهوية الثقافة العربية، وعدها طموحات استعمارية في حلة ثقافية.

- المعيوف، لطيفة بنت عبد العزيز (2017) الفرنكوفونية: تاريخها و آثارها في العالم العربي، مقال منشور في مجلة جامعة الملك سعود، للآداب والعلوم الإنسانية، في مجلدها الخامس والعشرين، العدد الأول، وهو بحث يهدف إلى تحديد المبادئ الأساسية التي

تحكم الفرانكوفونية ، و رصد الاتجاهات الأساسية التي ساعدت على نشاطها والنظر في الكيفية التي مارست بها الفرنكوفونية نفوذها، وتنامي آثارها في العالم العربي.

- الزيدي، وليد كاصد (2020) الفرانكفونية: دراسة في المصطلح والمفهوم والتطور التاريخي، وهو كتاب جاء لإضاءة مصطلح الفرانكفونية ومفهومها وتطورها التاريخي، نظرا لما يزال عالقا بهذا المصطلح من غموض والتباس لدى أغلبية الكتاب والباحثين والقراء على حد سواء، من جهة، ولقلة ما كتب في هذا المجال من جهة أخرى. وهي دراسات على جودتها، وحداثتها قد أغفلت الوجه الجديد الذي تتفرد دراستنا بالوقوف عليه، وكشف ملامحه، وتحديد خطورته على العربية، فهو مظهر لا يقل تأثيرا عن الفرانكفونية بوجهها القديم، وفي حلتها التقليدية.

3- منهج الدراسة ومنهجيتها:

تحقيقا للأهداف المرجوة من هذه الدراسة وسعيا إلى إيجاد إجابات يعضدها واقع اللغة العربية، ومجال استخداماتها، تبنت دراستنا هذه المنهجين اللازمين لذلك، وهما المنهج التاريخي في استحضار التطورات التاريخية لمشروع الفرانكفونية، و ترتيبها وتصنيفها ونقدها، وصولا إلى عرضها على شكل حقائق ذات مدلولات وقرائن؛ لفهم القضية في جميع أبعادها السياسية والثقافية والجغرافية، إضافة إلى المنهج الوصفي في وصف الظاهرة، وتحليلها، للوصول إلى تفسيرات تؤكدها الدلائل الواقعية التي تمكننا من وضع أطر محددة للمشكلة.

أما منهجية البحث فقائمة على تسلسل معرفي تتقدم فيه الفرانكفونية مصطلحا ومفهوما، وأهدافا، وتليها الفرانكفونية في الجزائر بعدها نموذجا واضحا لهذا النموذج التغريبي، فهي كما وسمها بعضهم "حديقة فرانكفونية ترفض العباءة الرسمية" (**إسلام، 2017**) ويلي ذلك ظاهرة الفرانكوعرب كطرح بديل ومغرٍ عن الفرانكفونية المفضوحة.

4- مفهوم الفرانكفونية:

الفرانكفونية "بمعناها المباشر البسيط هي المؤسسة التي تعنى عناية خاصة بمن يتكلم الفرنسية، سواء كلغة ام أو كلغة ثانية" (**بلقيز، 2001، ص7،8**). وهي كما يدعو أصحابها منظمة تسعى في مهمتها الأساس إلى تعزيز اللغة الفرنسية والتنوع الثقافي واللغوي بالإضافة إلى السلام والديمقراطية وحقوق الإنسان،ويُطلق عليه أيضًا اسم العالم الناطق بالفرنسية، و"هو جزء من صراع تنافسي مع القوى اللغوية والاقتصادية الأخرى في العالم" (**Provenzano, p4، 2006**).

ترجع الأصول الأولى لمصطلح الفرانكفونية (Francophonie) أو بيت الطاعة الفرنسية، إلى ثمانينيات القرن التاسع عشر، منذ 1880، وإلى شخصية (Onésime Reclus)، حيث كان هذا الجغرافي الفرنسي أول من صاغ كلمة الفرانكوفونية في أعماله الجيوسياسية عن فرنسا ومستعمراتها، وصاحب فكرة تصنيف سكان الكوكب وفقًا للغة التي يتحدثون بها في عائلاتهم أو في علاقاتهم الاجتماعية، حيث تحول المصطلح معه إلى دلالة مركزة، في مشروع يتم تعريفه من خلال مفهومه الديموغرافي والإقليمي، ومن خلال هدفه الإمبريالي (**Provenzano , 2006 , p3**).

و بلغة الأرقام يمكن أن تختصرالفرانكوفونية في (**موقع الدبلوماسية الفرنسية، 2020**):

- 88دولة وحكومة

- 300مليون ناطق باللغة الفرنسية
- المرتبة الخامسة في قائمة اللغات الأكثر تداولاً في العالم
- تعيش نسبة 48 في المائة من الفرنكوفونيين في أفريقيا
- الفرنسية هي لغة التعليم لثمانين مليون شخص

5- أهداف الفرانكفونية:

إن الفرانكفونية مشروع يستثمر "اللغة الفرنسية بعبقرية مناسبة لها"(**Provenzano , 2006 , p7**)، فيرفع من شأنها، ويعلي من قدرها، على أنها اللغة "التي يجب أن تتحكم في مصير الشعوبالمستعمَرة، لكي يكون الآخرنموذجًا للتعبير وربطًا بين المستخدمين المحيطين والحضارة الفرنسية"(**Provenzano , 2006 , p7**).

وهو ما لم يتفطن له كثير من أبناء الأمة العربية الذين اعتقدوا بأن تحرر الشعوب عسكريا يعني نهاية الاستعمار والاستغلال والعبودية ...، معتقدين أن الفرانكفونية ليست إلا "فكرة لسانية وعلاقة جغرافية"(**الزيدي، 2020، ص 16**)، "أو أنها نهج للإخاء الإنساني، كونها مماثلة لأسس السلام، وميثاق الأمم المتحدة واليونسكو، فهي جميعا تشجع على التعلم والعلم والثقافة" (**الزيدي، 2020، ص 16**)، يقول واضع فكرة الفرانكفونية الأول عنها: "هي حاملة المثل العليا الفرنسية، واللسان الأكثر قدرة على التعبير عن التضامن الإنساني من خلال التبادل الثقافي"(**الزيدي، 2020،ص 92**).

ويمكن تلخيص أهدافها الحقيقية في النقاط الآتية:

- السياسية: تأسيس علاقات أكثر متانة مع الدول المنتمية إلى منظمتها (**الزيدي، 2020، ص 87**).

- الأيديولوجية: الالتزام الأيديولوجي بمعايير ومفاهيم محددة، لا تقتصر على عمل الدول الأعضاء ومؤتمراتهم، بل التركيز على بث اللغة الفرنسية، وإبراز ثقافاتها وإنتاجاتها.(**الشويري، 2001، ص7**).

- الثقافية: الإبقاء على اللغة الفرنسية صامدة بوجه تحدي الانجليزية (**الزيدي، 2020، ص 87**) .

6- الفرانكفونية في الجزائر:

إذا توقفنا قليلا عند الظاهرة في الجزائر لوجدنا لها شكلا مخيفا مختلفا كل الاختلاف عن باقي الدول العربية، كيف لا وما يقارب ثلث الجزائريين يتقن اللغة الفرنسية، أو يجتهد للتكلم بها، وإزاء هذا الوضع انقسم المفكرون في الجزائر قسمين؛ أحدهما متبن للفكرة، مشجع لها، والآخر رافض، معاد، يجتهد ما استطاع للاجتهاد سبيلا أن يحد من هذا الغزو، ومن تأثيره، و أبرز المناهضين للفرانكفونية في الجزائر المرحوم عبد الله ركيبي صاحب كتاب (الفرانكفونية مشرقا ومغربا)، الذي يقول عنه في مقدمته: "انهالت على ذهني أسئلة كثيرة ترتبط بدور الفرانكفونية، وكذلك بدور اللغة والثقافة الأنجلوسكسونية، وهل خدمتا الثقافة العربية وإلى أي حد، وهل أفادت منهما أي من الثقافتين بنفس المستوى، ثم هل الفرانكفونية في المغرب العربي خاصة قد أفادت أو أثرت الثقافة العربية، أم أنها أغنت الثقافة التي تكتب باللغة الفرنسية، والإبداع الذي يصدر بها، ولماذا يستميت ذوو الثقافة الفرانكفونية عندنا- أي في المغرب العربي في الدفاع عن الفرنسية وبانفعال زائد في أحيان كثيرة، ولماذا يكون حديثهم عن العربية والدفاع عنها حين يثار

موضوع التعريب يبدو مجرد عاطفة أقرب إلى الرثاء منها إلى الدفاع الحار الصادق عنها والعمل على ترقيتها، ونشرها في مختلف مجالات الحياة.. " **(ركيبي، دت ، ص 6)**.

يذكر عبد الله ركيبي سلبيات متعددة للفرانكفونية، وعن مخاطرها، وخلاصة ذلك كله أن العربية صارت عند أبنائها لغة من الدرجة الثانية بعد الفرنسية؛ لأن هذه الأخيرة لغة التعامل والتعليم، فضع ُف إثر ذاك الإحساس بالعروبةوالوحدة، مما شكل عائقا كبيرا أمام تطوير الثقافة والأدب العربيين، وتولد عن هذا ظهور الدعوات إلى الثنائية اللغوية بين العربية والأمازيغية، مطرزة بثوب الأصالة باعتبار ها اللغة الأولى للمنطقة، والدفاع عن العامية دفاعا مستميتا **(ركيبي،2009، ص 326)**، وغيرها من مظاهر التشويش على العربية والحط من شأنها وقيمتها.

لا يتوقف الحديث عن هذه الظاهرة التي تسعى لطمس الهوية العربية، عند مجرد وقوفها مع العربية جنبا إلى جنب في بلاد العرب، ففي الوقت الذي تغنىفيه كثير من أبناء هذه الأمة بالفرنسية بديلا عن العربية، كتبت الرواية الجز ائرية باللغة الفرنسية، والأشعار كذلك، واتخذت الفرنسية أيضا لغة التخاطب اليومي، وما إلى ذلك من مظاهر تحقير العربية، وتقديس غيرها.

لذلك تجد عبد الله ركيبي يقول: "ورغم أننا تحررنا من الاستعمار الفرنسي السياسي والعسكري، في حين أن أجدادنا كانوا يرزحون تحت وطأة هذا الاستعمار بكل ألوانه، رغم هذا فإن عقولا مازالت ترسف في قيد الاستعمار الفكري والثقافي واللغوي، ولم تستيقظ بعد من تأثيره، إن لم نقل تخذيره، وكأنها مسحورة به، لا ترى الأشياء إلا من منظاره الذي وضعه على عيون أصحابها، فلا يستطيعون رؤية الحياة بدونه" **(ركيبي، 2009 ،ص 13)**.

فالأخوة في المشرق العربي كما يقول الرجل: "تجاوزوا هذه الحالة البيزنطية، وذهبوا يؤلفون بلغتهم العربية التي هي لغتنا نحن أيضا، بينما ما زلنا نحن في المغرب العربي، أو مازال كثير منا يناقش هل نكتب بها أم باللغة الأجنبية؛ أي الفرنسية؟؟"**(ركيبي، 2009 ،ص 15)**.

للأسف الشديد، فكر كهذا لا يعبر إلا عن استعباد فرنسي لمجتمع عربي، فإذا كانت دول العا لم العظمى تستعبد الشعوب فيما مضى بقوة الجيوش والسلاح، فإنها تستعبدها اليوم بطرق أخرى أشد شراسة وخطورة، وهي الفرانكفونية التي لا يمكن أن تكون "مساحة للمشاركة، بل هي مشروع توسع" **(Provenzano, 2006, p4)**؛ لأن كثيرا من هذه الشعوب لا يدرك المغزى الحقيقي من الطرق التي يدعي العا لم الغربي من خلالها نشر قيم التسامح والديمقراطية وبسط آفاق العلم والتطور، والإفادة منها.

فالعا لم الغربي أو الكيان الاستعماري فرنسيا كان أوانجليزيا كان دائما يسعى للقضاء على لغة المستعم َر، لكن الطريقة اختلفت فللانجليز من طبائعهم ومزاجاتهم الشخصية جانب في الأساليب الاستعمارية، حيث إنهم كانوا يميلون إلى الهدوء ومحاولة الإقناع بأهمية لغتهم، في حين كان الفرنسيون أكثر ميلا إلى الدموية والعنف، والمراوغة الفضة والتمويه للقضاء على العربية، فيروى مثلا على ألسنة كثير ممن عايشوا ثورة التحرير المجيدة أن العسكر الفرنسي كان يصوب في بعض المناطق مدافعه تجاه الأضرحة والزوايا للقضاء عليها، لكن عطلا يصيب ذلك المدفع، أو قدرة عجيبة توجه ضربته إلى غير قصد، ما جعل بعض الجزائريين وإلى يومنا هذا يؤمنون بالأضرحة وأصحابها أكثر من إيمانهم بالله الواحد الأحد.

إن سعي المستعمِر الفرنسي لطمس الهوية الدينية والثقافية لا تزال آثاره قائمة إلى يوم الناس هذا، فهذا "الغزو لم ينقطع في يوم من الأيام، ولم تخف وطأته أبدا"(**الحاج صالح، 2009، ص65.**)، حتى أننا نلاحظ "الفرد في المغرب العربي، مثقفا أو غيره سريع التأثر بالثقافة الفرنسية وسريع التحدث بها حتى ولو كان لا يعرف حرفا منها قراءة وكتابة، ولا يشعر بالحرج إذا تحدث بها أو مزج بينها وبين الدارجة أو الفصحى المعربة، وقد لا يحس بنقص، وهو يخلط بين الكلمات والتعابير التي تتدخل فيها اللهجات أو اللغات المتعددة..."(**ركيبي، 2009، ص 30**)، مقابل حياء شديد يتملكه بمجرد استعمال أوجز لفظ بالعربية.

ولم يأت هذا الشعور من فراغ، ولم يكن وليد الصدفة، بل هو ما سعى الفرانكفونيون إلى تحقيقه، حيث إنهم يسعون إلى زرع اعتقاد سائد في العقول والأذهان، بأن اللغة الفرنسية تتمتع "بامتياز العالمية، أي الاعتراف بالإجماع كلغة مرموقة. امتياز لا تزال تبرره الصفات الجوهرية للغة، من خلال (عبقريتها الخاصة)، مما يجعلها متوافقة مع العقل نفسه، وتجعله أداة مفيدة لجميع الشعوب"**(rovenzano, 2006 , p8)**

تكاد تكون الجزائر هي النموذج الأوضح في العالم العربي على تأثير الفرانكفونية على العربية، حيث يميل الجزائري بمختلف مستوياته إلى استعمال الفرنسية بديلا عن العربية. فأرباب العائلات يخاطبون صغارهم الذين هم في طور الاكتساب اللغوي بلغة غير لغتهم، رغبة منهم في أن يتمكن ذلك الصغير من الفرنسية على اعتبار أنها اللغة الأرقى والأقوى، أما العربية فليست إلا لغة للشعر والشعراء، وربما كان هذا بتأثير من الاستعمار الفرنسي ذاته الذي يتباهى بلغته بشكل غريب وغير مبرر، ويعتبرها فوق لغات العالم أجمع.

كل هذا إنما نتيجة "عملية السيطرة والتخطيط وتوجيه الغرس الثقافي... حتى يتم الاستعمار بصوره الثقافية الجديدة" (**عبد العزيز، 1423هـ، ص49**)، وهنا نجد أنفسانا بإزاء "طورين أساسيين للفرانكفونية :يتمثل الطور الأول في (الاستعمار القديم) بينما يمثل الطور الثاني (الاستعمار الحديث)" (**النمري، 1423هـ، ص40**)

7- ظاهرة الفرانكوعرب:

إن ما يزيد الطين بلة تلك الظاهرة الحديثة وهي وليدة الفكر الفرانكفوني -لا شك- التي تكاد تطرح العربية أرضا، وهي الفرانكو-عرب، مصطلح مركب من لفظتي (فرانكو) التي تعني فرنسي، و(عرب)، التي تعني "أُمة من الناس سامية الأصل، كان منشؤها شبهَ جزيرة العرب"، وقد سمي العرب عربا لأنهم فصحوا، يقال:يقال عرُب لسانه، وأعرب فلان، كان لسانه فصيحا في العربية، وإن لم يكن من العرب".

ويعني المصطلح أن تكتب الكلمات العربية بأحرف لاتينية، وقد شاع استعمالها حديثا بين فئة الشباب التي تميل إلى استعمال مواقع التواصل الاجتماعي، ومختلف الأجهزة الذكية التي قد لا تتيح لهم فرصة الكتابة بالحرف العربي عمدا.

ويمكن تعريف هذه الطريقة بأنها "أسلوب في الكتابة غير محدد القواعد مستحدث غير رسمي ظهر منذ بضعة سنوات، ويستخدم البعض هذه الأبجدية باللغة العربية أو بلهجاتها، وتنطق مثل العربية، إلا أن الحروف المستخدمة في الكتابة هي الحروف والأرقام اللاتينية بطريقة تشبه الشيفرة"(**تامة، 2017**)، ويمكن التمثيل لطريقة الكتابة المستحدثة هذه باستعمال الأرقام إلى جانب الحرف اللاتيني عوضا عن الحروف العربية بما يلي:

3: وتعوض العين (ع)، مثل: كلمة عادي التي تصبح بالفرانكو-عرب (3adi)

5: وتعوض الخاء (خ)، مثل: كلمة (خمسة) التي تصبح بالفرانكو-عرب (5amssa)

7: وتعوض الحاء (ع)، مثل: اسم حليمة الذي يصبح بالفرانكو-عرب (7alima)

9: وتعوض القاف (ق)، مثل: كلمة (تقدر) التي تصبح بالفرانكو-عرب (ta9der).

إن هذه الكتابة مسخ للهوية اللغوية العربية، وإحداث شرخ واضح في معالمها، لأن اللغة العربية ليست كباقي لغات العالم، تقوم على اللفظ والمعنى فقط، فقوامها لفظ ومعنى ورسم، هذا الأخير الذي يمثل الخط العربي بجمالياته ودلالاته، يقول غوته (Goethe) "ربما لم يحدث في أي لغة هذا القدر من الانسجام بين الروح والكلمة والخط مثلما حدث في اللغة العربية، وإنه تناسق غريب في ظل جسد"، ولما أرادت الفرانكفونية القضاء على هذا الجسد أتته من حيث عجزت فيما مضى، فراحت في سعي منهجي حثيث تزلزل الأمة، فلم تترك قرآنها ولا عاداتها، وتقاليدها، ولم تستثن لغتها، مسخرة لمراميها التغريبية أقلاما عربية، ومفكرين إسلاميين.

لقد أدركت الدول الغربية أن مشروع الإخضاع العسكري العنيف مشروع فاشل، يدر عليها الخسائر من كل حدب وصوب، فراحت تبحث لها عن البديل، منتقلة إزاء ذلك من سياسة الترهيب إلى سياسة الترغيب، ومن دائرة الموت إلى دائرة الحياة في بوتقة العالم الافتراضي الذي يهيئ لمستعمليه لغة تنبني على تحقير الأصل، وتبجيل الفرع، تحطيما للكن من أركان الهوية العربية، وهو لغة القرآن الكريم بخصائصها الاشتقاقية والإعرابية.

ويبدو أن انتشار هذا النوع من الأسلوب الكتابي المستحدث قد "اقترن مع ظهور خدمة الهاتف المحمول في المنطقة العربية، وذلك لأن خدمة الرسائل القصيرة (sms) تتيح للأبجدية اللاتينية حروفا أكثر في الرسالة الواحدة عنها في نظيرتها العربية، ما دفع بعض الذين لا يتقنون الانجليزية إلى الكتابة بالحروف اللاتينية، ولكن بصيغة عربية" **(شعبان، 2017)**

وازداد الإقبال على هذا النمط التعبيري مع اتساع الرقعة الجغرافية لانخراط الشاب العربي على مواقع التواصل الاجتماعي، ومع هذا الإقبال بدأ نطاق غربتنا عن لغتنا الأم يأخذ في الاتساع **(تامة، 2017)**، ولكن المشكل لا يتوقف عند طريقة الكتابة فحسب، والتعلق بها، بل ياخذ منحى اكثر خطورة مع اهتمام بعض المواقع العالمية بترجمة هذه الطريقة، كخطوة نوعية من خطوات تغريب المجتمع العربي، خاصة في ظل القرية الكونية والانفتاح على الآخر **(تامة، 2017)**.

"إن كتابة اللغة العربية بأحرف لاتينية أمر ليس عادياً، فهي تقتل روح اللغة وجماليتها وفرادتها، ليس هذا فحسب بل تقطع الصلة وبشكل نهائي بين الجيل الجديد وتراثنا العربي المكتوب بأحرف عربية" **(تامة، 2017)**، و من "الصور المؤلمة التي أصبحنا نراها بشكل جلي بين أواسط الشباب والذين هم آباء وأمهات الغد وأساتذة ومعلمين للجيل القادم ضحالة المفردات اللغوية وضعف المهارات الإملائية، وتردي الملكات التعبيرية لديهم" **(تامة، 2017).**

تزداد خطورة الظاهرة يوما بعد يوم، وكلما زاد المتشبثون بها، والمعبرون بوساطتها، فهي تجعل العربية في موطنها في عزلة مخيفة، وذلك أمر مقلق للغاية، "فانعزال الفصحى -وهي لغة الثقافة- عن الحالات الخطابية النابضة بالحياة أي الحياة اليومية هو خطير

جدا، لأنه تبدو بذلك العربية كأنها لغة مصطنعة غير طبيعية" (**الحاج صالح، 2009، ص66**). و"بالرغم من خطورة وتداعيات هذه الظاهرة، فإننا لا نجد من تناولها بالدراسة والتحليل، ولم تنفرد بحوث علمية لدراستها" (**الحاج صالح، 2009، ص66**). ولا شك أن هذه الغفلة وعدم الاكتراث بالأمر، مظهر آخر من مظاهر نجاح المشروع الفرانكفوني، حيث تقبل المجتمع الظاهرة بصدر رحب، فلم يعد أسلوب الفرانكو-عرب شبابيا فقط، بل تجاوز حيز الشباب غير المسؤول إلى المعلم، والمربي، والمكون، والوالد ...، فكل هؤلاء يجد في الرقم (3) بديلا جيدا عن حرف العين (ع)، ويجد الحرف اللاتيني مناسبا جدا لنقل الفكرة، والتعبير عن القصد. نستثني من هذا الحكم التفاتات قليلة جدا ظهرت على الشبكة العنكبوتية لتثير القضية، مع اختلاف في التصور، والرؤية، فعلى منتدى مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية نجد مقالا بعنوان : (الفرانكو أراب.. رحلة لغة بدأت منذ سنوات جعلت العربية دقة قديمة) (**شعبان، 2017**)، حيث يقدم هذا المقال جملة من الآراء تجاه الأسلوب الذي راج على مواقع التواصل الاجتماعي، وأيا كانت الآراء التي قدمها فإن العنوان يبرز ميل صاحبه إلى هذا الأسلوب وتأثره به، وموقفه من الكتابة العربية مقابل الكتابة الفرنكوعربية. في حين وصفته كاتبة أخرى في المنتدى ذاته بـ"شبح الفرانكو"، في مقال وسمته بـ(بين الفرانكو أراب والنفور من العربية)، فقالت: إنّه شبح الفرانكو أراب الذي يخُيم بظلامه الدامس على بيوت اللغة العربية، وينشر عناكبه في أرجائها المهجورة؛ إذ رأى أن الجو مهيأ والفرصة سانحة، هجرها أهلوها وتناسوها، وأطفؤوا فيها الأنوار، فدخل كاللص يسرق حروفنا العربية الأصيلة شيئاً فشيئاً، وكالمستعمر يحتل ديارنا؛ ليضع فيها أثاثاته البديلة التي لا ولن تصلح أبداً، فاذا هم يتخلون عن أثاثاتهم المسروقة التي ربما يغفلون عن مدى عظمتها وأصالتها ونَفاستها؛ لينصاعوا لهذا الشبح، ويُشيِّعوا جثامين حروفهم العربية؛ لتحيا محلها الحروف الإنجليزية" (**زايد، 2017**).

فبين معارض يجعل من الفرانكو-عرب شبحا يخيم على أجواء هويتنا، ويسعى، إلى التشويش على ثقافتنا من خلال إقصاء اللغة العربية كأبرز معالمها، وبين مشجع ومرحب، يتصور العربية نظير الظاهرة الدخيلة نمطا قديما لا يفي بالمطلوب ولا يلبي الأغراض والحاجات، فهي لغة معقدة بقواعدها، متخلفة بصرفها ونحوها، وما من فائدة ترجى من التعبير بها.

لكن لو عرف شبابنا كيف قدس القدامى لغتهم وكيف نظروا للعربي الناطق بغيرها، وما حكم ذلك، لولوا الأدبار راجعين إليها مفتخرين بها، فقد قال عمر بن الخطاب: "تعلموا العربية فإنها تزيدُ في المروءة"(**البخاري، دت، 68/9**)، وقال الثعالبي (ت429هـ) جاعلا حب العربية من حب نبي الله: "...فإن من أحب الله أحب رسوله، المصطفى صلى الله عليه وسلم، ومن أحب الرسول، أحب العرب، ومن أحب العرب أحب اللغة العربية التي نزل بها أفضل الكتب، على أفضل العرب والعجم، ومن أحب العربية عني بها، وثابر عليها، وصرف همته إليها" (**الثعالبي، 2000، ص29**).

ويوافقه ابن تيمية (ت728هـ) قائلا: "اعتيادُ الإسلامِ وأهلِهِ، واللُّغاتُ مِنْ أعظمِ شعائرِ الأُممِ التي يتميَّزُون بها" (**ابن تيمية، دت، ص 462/1**)ويقولُ أيضاً: "اللُّغةُ العربيَّةُ من الدِّينِ ومعرفتها فرضٌ واجبٌ " (**ابن تيمية، دت، ص 1/469**). كما يقول: "وأما اعتياد الخطاب بغير العربية التي هي شعار الإسلام، ولغة القرآن، حتى يصير ذلك عادة للمصر وأهله، ولأهل الدار، وللرجل مع صاحبه، ولأهل السوق أو للأمراء أو لأهل الديوان أو لأهل الفقه؛ فلا ريب أن هذا مكروه" (**ابن تيمية، دت،1/ 468.**)

وجاء في عيون الأخبار أن "ثلاثة تحكم عليهم بالدناءة حتى يعرفوا :رجل شممت منه رائحة نبيذ في محفل، أو سمعته يتكلم في مصر عربي بالفارسية، أو رأيته على ظهر الطريق ينازع القدر" **(ابن قتيبة ، عيون الأخبار، 1/ 413)**.

فليس النطق بغير العربية رجوله وشهامة، وليس تعويض الحرف العربي بالرسم الغربي تطورا ورقيا، إنه انصياع تام لمطامع قديمة غيرت حلتها وظهرت بثوب براق لامع، فلما كانت العربية بالمنزلة التي ذكرنا كان من الطبيعي جدا ان تكون الواجهة المقصودة بالزعزعة، والاستعمار، لأن زعزعتها تهز كيان الهوية الإسلامية، وتجعل انقياد الشعوب العربية إلى المجتمع الغربي من السهولة بمكان، وتجعل اندماجها، وخدمتها لغايات الفرانكفونية من أيسر الأمور.

8- خاتمة:

يمكن أن نخلص في خاتمة هذا العمل إلى أن كل ما ذكر من نقاط تحسب للفرانكفونية، وكل المساحيق التي يمكن أن يسبغ بها وجه الأطروحات الغربية، في بعدها الجغرافي والثقافي والإنساني ليس في حقيقة الأمر إلا طموحات استعمارية في حلة ثقافية. فالاحتدام الحضاري بين الشرق والغرب متواصل، ولكنه يكتسي لكل عصر كساءه ورداءه، استجابة لمبدأ التنوع الثقافي والتعدد اللغوي، وتحقيقا للهدف الفرانكفوني الأسمى الرامي إلى بسط السيطرة الغربية على اللغة العربية، تهميشا وإقصاء.

فعندما شعر الفرانكفونيون في العالمين العربي والغربي بانكشاف مخططاتهم، وانحصارها في بوتقة ضيقة، إما لوعي الشعوب المستهدفة، أو لبروز المد الانجلوفوني في مواجهة الفرانكفوني، اتخذوا سبيلا آخر في تحقيق أهدافهم وتوجهاتهم، ويبرز هذا السبيل واضحا مع التطبيق العصري للتكنولوجيا، حيث تزدهر اليوم في بلاد العرب ظاهرة الفرانكو-عرب؛ السلالة الفرانكفونية المعاصرة.

ونظرا لهذا الوضع المخيف الذي تعرفه العربية، ولأن التحديات اليوم أصبحت أكبر من ذي قبل نقترح الآتي:

- النظر إلى الفرنكفونية النظرة التي تستحق، فليس الأمر مجرد تهويل، أو تضخيم، إنه زحف لغوي ثقافي، يمحو العربية بالتدريج.
- معالجة ظاهرة الفرانكو-عرب التي تقف شامخة على أطلال الحرف العربي، للحد من مدها، والقضاء على مطامح أصحابها.
- تفعيل خدمات اللغة العربية على المستوى الرقمي، استفادة من نتائج البحث في اللسانيات الحاسوبية.
- إعادة الاعتبار –كما يقول عبد الرحمن الحاج صالح- للأداء اللغوي الدارج في البلاد العربية.

9 - المراجع باللغة العربية:

1.9- الكتب:

- البخاري، محمد بن إسماعيل (دت) التاريخ الكبير، تحقيق محمد بن صالح بن محمد الدباسي، بيروت: دار الكتب العلمية.
-ابن تيمية (دت) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ناصر بن عبد الكريم العقل، الرياض: مكتبة الرشد،.
- الثعالبي، أبو منصور (2000) فقه اللغة وأسرار العربية، ضبط ياسين الأيوبي، بيروت: المكتبة العصرية.
ز كيبي، عبد الله (2009) الفرانكفونية مشرقا ومغربا، مشرقا ومغربا، الجزائر: دار الكتاب العربي.

- الزيدي، وليد كاصد (2020) الفرانكفونية: دراسة في المصطلح والمفهوم والتطور التاريخي، العراق: العتبة العباسية المقدسة، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، ، ط1.

-عبد الإله بلقيز، (2001) في الفرنكوفونية ايديولوجيا سياسات تحد ثقافي -لغوي ، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

- ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم **(**1986**)** عيون الأخبار، شرح يوسف علي طويل، بيروت: دار الكتب العلمية.

2.9- المقالات:

- الحاج صالح، عبد الرحمن إعادة الاعتبار للغة العربية في المجتمع العربي، مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، م11، ع11، 2009.

- عبد العزيز، زينب (1423هـ) الفرنكوفونية والمسألة الحضارية، مجلة البيان، ع178. ص ص 30، 40.

- النمري، عمر (1423هـ) الفرنكوفونية استعمار أم استخراب؟ مجلة البيان، ع178، ص ص 40، 50.

- François Provenzano, Francophonie et études francophones: considérations historiques et métacritiques sur quelques concepts majeurs, Université de Liège, PORTAL Journal of Multidisciplinary International Studies, Vol. 3, no. 2 July 2006, p2-18.

Bibliographie

Abdel Aziz, Zainab (1423) The Francophone and the Civilization Issue, Al-Bayan Magazine, No: 178, p30,40.

- Al-Hajj Saleh, Abdul Rahman (2009) Rehabilitation of the Arabic Language in the Arab Society, Journal of the Arabic Language, , Algeria: Supreme Council of the Arabic LanguageVol. 11, No. 11, pp. 65, 74.

- AlBukhari, Muhammad bin Ismail: The Great History, investigated by Muhammad bin Saleh bin Muhammad al-Dabbasi, Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya.

- Al-Nimri, Omar (1423 AH) - Francophonie: Colonization or sabotage? Al-Bayan Magazine, No : 178, pp40,50.

- AlThalabi, Abu Mansour (2000) Philology and the Secrets of Arabic, Tadweeb Yassin Al-Ayoubi, Beirut: The Modern Library

- AlZaidi, Walid Kased (2020) Francophone: A Study in Terminology, Concept and Historical Development, Iraq: Al-Abbas's (p) Holy Shrine, Islamic Center for Strategic Studies, 1st Edition.

- Belkez, Abdelilah (2001) in Francophone, Ideology, Politics of a Cultural-Linguistic Challenge, Beirut: Center for Arab Unity Studies.

- Ibn Qutaiba, Abdullah bin Muslim (1986) Oyoun al-Akhbar, Sharh Yusef Ali Tawil, Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya.

-Ibn Taymiyyah (d.) Requiring the Straight Path to Dissent from the Companions of Hell, Nasser bin Abdul Karim Al-Aql, Riyadh: Al-Rushd Library.

- Rakibi, Abdullah (2009) Francophonie: East and West, East and West, Algeria: Dar Al-Kitab Al-Arabi.

- Provenzano, François (2006) Francophonie et études francophones: considérations historiques et métacritiques sur quelques concepts majeurs, Université de Liège, PORTAL Journal of Multidisciplinary International Studies, Vol. 3, no. 2 July 2006, p2-18.

websites :

https://www.aa.com.tr

https://www.aljazeera.net/blogs/2017/6/2

https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar

http://www.arabrenewal.info

https://www.diplomatie.gouv.fr

http://www.m-a-arabia.com/vb/showthread.php?t=26351